بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

دستورية قانون الربا

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ـ وبعد :

فانه منذ أسابيع قريبة أصدرت المحكمة الدستورية العليا حكمين هامين ، أحدهما عن عدم دستورية قانون الاحوال الشخصية والآخر عن دستورية التعامل بالربا . ويبدو أن اهتمام الناس بقانون الأحوال الشخصية وما نتج عن تطبيقه من مشاكل جعل الأنظار مركزة على حكم المحكمة الدستورية بعدم شرعيته ، فانبرت الأقلام تكتب عن القانون ، وعقدت من أجله الندوات وتناولته الأحاديث فى كل مكان ، وكأن هذا الحكم بعدم شرعيته قد استحوذ على تفكير الكتاب والمعلقين فى كل وسائل الاعلام فسلطوا عليه الأضواء كلها حتى لم تجد شعاعا واحدا يتجه ناحية الحكم الآخر الذى أصدرته المحكمة الدستورية العليا بشأن شرعية التعامل بالربا .

وقضية الربا التى نظرتها المحكمة المذكورة قضية قديمة عمرها أكبر من تسع سنوات وقد كتبنا عنها فى مجلة التوحيد عدة مرات لأنها تتعلق بجامعة الازهر التى اتخذت قرارا بعدم التعامل بالربا . وملخص القضية أن الجامعة كانت قد رفضت بعض الأدوات الطبية من أحد الموردين ، ورفع المورد دعوى أمام محكمة القضاء الادارى فى شهر مارس ١٩٧٦ وقضت له بثمن الأدوات وفوائد التأخير . وعرضت جامعة الأزهر تعويضا للتاجر بدلا من فوائد التأخير لتبتعد عن الربا المحرم لكنه رفض . فاضطرت جامعة الأزهر الى الطعن فى القانون المدنى

الخاص بالفوائد أمام المحكمة الدستورية العليا التى حجزت القضية للحكم ثم قررت مد أجل النطق بالحكم الى جلسة أخرى ثم أعادت القضية للمرافعة مرة ثانية بأسلوب العدالة البطيئة ... وهكذا حتى أصدرت المحكمة حكمها فى شهر مايو الماضى بدستورية قانون الربا .

والأسباب التى على أساسها أصدرت المحكمة حكمها هذا هى أن النص على أن الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع وضع فى الدستور عام ١٩٨٠ بينما قانون الربا قائم منذ صدوره عام ١٩٤٨ ولم يلحقه أى تعديل . فقالت المحكمة ان تعديل المادة الثانية من الدستور مؤداه الزام المشرع باتخاذ الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى لما يضعه من تشريعات بعد التاريخ الذى فرض فيه هذا الالزام (أى بعد عام ١٩٨٠) بمعنى أن النص على أن الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع لا يعمل به الا من عام ١٩٨٠ أما ما يخالفه من قوانين صدرت قبل ذلك التاريخ فانه لاسلطان عليها لهذا التعديل مهما كانت مخالفة للاسلام .

وبالطبع ما كنا نتصور أن يكون هناك نص دستورى يقضى بأن تستمد القوانين وجودها من الشريعة الاسلامية ولا تتعارض معها ثم تبقى قوانين مخالفة لهذه الشريعة لانها صدرت قبل هذا النص الدستورى .

ومن فضل الله وتوفيقه أن قال أحد رجال القانون بمناقشة هذه القضية وهو المستشار الدكتور فتحى عبد الصبور الرئيس السابق للمحكمة الدستورية العليا حيث أوضح فيما قال ان اعتبار الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع قاعدة دستورية واجبة الاحترام . وهى ليست موجهة فحسب الى المشرع العادى بل هى كغيرها من قواعد الدستور موجهة الى جميع سلطات الدولة ومؤسساتها ومن بينها المحكمة الدستورية العليا التى تمتد رقابتها الدستورية الى جميع القوانين والتشريعات السابقة على الدستور واللاحقة عليه ، وهو ما استقر عليه من قبل قضاء المحكمة الدستورية العليا والمحكمة العليا .

كما قال أيضا : ان عبارة المادة الثانية من الدستور قبل تعديلها وبعده لا تفيد بحسب مدلولها الواضح اقتصار حكمها على القوانين اللاحقة للدستور ، ذلك لأن نصوص الدستور تمثل دائما القواعد والأصول الاجتماعية والسياسية والتشريعية التى تقوم عليها الدولة ونظام الحكم فيها ، ولذلك فان الدستور ليس كالقوانين العادية التي لايبدأ نفاذها الا من تاريخ نشرها بعد اصدارها ، كما أن سيطرة الدستور على التشريعات السابقة لا تخالف العدالة ذلك لأن من حق المحكمة الدستورية ـ صونا للدستور ـ أن تراقب هذه التشريعات فتبقى عن طريق الرقابة الدستورية على ما كان منها متفقا مع الدستور وتقضى بعدم دستورية ماجاء مخالفا له . ولو صح القول بغير ذلك لبقيت فى نظامنا القانونى والتشريعى قوانين مخالفة للدستور لأنها سابقة عليه ، الى جانب قوانين متفقة معه ولاحقة له . الأمر الذى يسم نظامنا القانونى بالتناقض وهو ما يخالف العدالة بالفعل ..

الى أن قال : أما من ناحية موضوع فوائد التأخير فلست بحاجة الى تقرير أن أحدا لا يمارى فى أنها فى طبيعتها صورة من صور ربا الجاهلية الذى حرمته الشريعة الغراء بنصوص قطعية الثبوت والدلالة فى القرآن الكريم والسنة النبوية . وقد ألغت دول اسلامية قبلنا فوائد التأخير وأجازت للقاضى أن يقضى بتعويض الدائن الذى أضير بسبب التأخير فى الوفاء . وهو ما تبناه مشروع قانون المعاملات الاسلامية (القانون المدنى) الذى أعدته من قبل لجنة مجلس الشعب السابق .

* * *

هذا ما قاله الرئيس السابق للمحكمة الدستورية العليا التى أصدرت حكمها بدستورية قانون الربا ... ذلك الحكم الذى أوقع جامعة الأزهر فى حرج شديد ، لأنها كانت قد أصدرت قرارا بعدم التعامل بالربا أخذا وعطاء ، فيأتى هذا الحكم ليجبرها على التعامل بالربا الذى تحرمه الشريعة والذى تقوم الجامعة بتدريس تحريمه لطلابها .

ان هذا الحكم الذى أصدرته المحكمة الدستورية العليا بدستورية قانون الربا يذكرنى بموقف مشرف لقاض كان رئيسا لمحكمة بندر امبابة منذ حوالى سبعة أعوام حيث عرضت عليه قضية مرفوعة من هيئة النقل العام ضد ممصل كان يعمل بها لدفع مبلغ كان المحصل مدينا به بالاضافة الى فوائده القانونية ، فحكم القاضى بأن يدفع المحصل المبلغ للهيئة ورفض الفوائد لأنها ربا . وقد بين القاضى فى أسباب حكمه أنه استند الى الدستور الذى ينص على أن دين الدولة الرسمى هو الاسلام وأن الشريعة مصدر رئيس للتشريع . وأورد قول الله تعالى : « وأن حكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك » وقوله سبحانه « وأحل الله البيع وحرم الربا » وقوله عز وجل « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ، هم سواء » ثم قال : وعلى ذلك فان المحكمة ترفض طلب الهيئة المدعية بالقضاء لها بالفوائد » .

* * *

وبعد :

فمتى تحقق الوعود بتنقية القوانين مما يخالف الشريعة الاسلامية ؟ ان مجلس الشعب هو الجهة التى تملك صلاحية التشريع للامة . ولا ندرى ما الذى يمنع المجلس من البدء فى هذه المهمة .. ؟

ولله الأمر من قبل ومن بعد .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

رئيس التحرير

نفحات قرآنية

بقلم بخاري أحمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان ..)

جرعة توحيد

الاحاطة بنعم الله غاية لا تدرك . والانسان وهو يغدو ، ويروح ، ويرقد ، ويصحو ويشهق ، ويزفر مجللا بنعم الله ، لاتسمو مداركه ولا تبلغ احاسيسه الدرجة التي تتيح لها مجرد التنبه الى كل ما يجلله من نعم .

والانسان العاجز عن مجرد الاحساس بما في معيته من نعم ، اشد عجزا عن ادراك شيء في مصدر هذه النعم . والخوض في شيء مما يتصل بالمولى سبحانه خارج نطاق ما بين الله تمرد على الحجم ، وتجاوز للقدر ، وتطاول نحو آفاق لا تكتنه ولا تحد « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون » الزمر ٦٧ .

ومثل هذا التطاول عدوان ، وجدال في الله بغير علم .

وظني ان المولى ، اشارة الى هذا ، وتنبيها الى جلال نعمه ، وانكارا للغفلة المطبقة ، قال في كتابه العزيز : (الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات ، وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ، ظاهرة ، وباطنة ، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ، ولا هدى ، ولا كتاب منير) لقمان ٢٠ .

والثناء على الله فرع الاحساس بنعم الله ، كلما عظم الاحساس ، جل الثناء ، والعكس صحيح .

لقد تقرر أن الاحاطة القصوى ، أو الاحساس الكامل بنعم الله فوق المقدرة . فصدق الله : (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) .

ولنا أن نقف متسائلين ، لم جمعت كلمة « نعمة » في « واسبغ عليكم نعمه » ولم جاءت مفردة في « وان تعدوا نعمة الله .. »

وظني ان الجمع هناك يتناسب مع كلمة « واسبغ » الدالة على الاحاطة ، والشمول ، والسخاء وان الافراد هنا يتناسب مع تقرير القصور ، والعجز ، عجز الانسان عن الاحاطة بنعمة واحدة من نعم الله سبحانه .

والمولى الذي لا يكلف نفسا الا

وسعها ، رضى منا أن نتقيه فى حدود الاستطاعة « فاتقوا الله ما استطعتم » وكفانا مؤنة استقصاء أسباب الثناء فهو سبحانه كما أثنى على نفسه ، لا نحصى ثناء عليه .

انا سنلقى عليك قولا ثقيلا

ومن نعم المولى على العباد أن أضفى على بعض الازمنة ، والأمكنة جلالا يعم خيره كل من أم الأمكنة أو استقبل الأزمنة مؤتمرا بأمر الله ، متبعا غير مبتدع ، مخلصا بلا رياء .

ومن نعمه كذلك أن أودع بعض الأذكار ، أو بعض الكلمات قيما خفية ، ولكنها ثقيلة ، ثقيلة .

والمؤمن يؤخذ وهو يقدر ثقل كلمة التوحيد « لا اله الا الله » بميزان الوحي وفق ما رواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال : « قال موسى : يارب علمنى شيئا أذكرك ، وأدعوك به ، قال : قل يا موسى : لا اله الا الله . قال موسى : يارب كل عبادك يقولون هذا ، قال : يا موسى ، لو أن السموات السبع ، وعامرهن غيرى ، والأرضين السبع فى كفة ، ولا اله الا الله فى كفة ، مالت بهن لا اله الا الله » رواه ابن حبان والحاكم وصححه .

ويؤخذ ثانية وهو يقدر ماورواه عبد الله بن عمرو مرفوعا « يصاح برجل من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له تسعة وتسعون سجلا ، كل سجل منها مد البصر ، ثم يقال : أتنكر من هذا شيئا ؟ فيقول : لا يارب . فيقال : ألك عذر ، أو حسنة ؟ فيهاب الرجل ، فيقول : لا يارب ، فيقال : بلى ، ان لك عندنا حسنات وانه لا ظلم عليك ، فيخرج له بطاقة فيها « أشهد الا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » فيقول : يارب ، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : انك لا تظلم ، فتوضع السجلات فى كفة ، والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة »

وكلم الله غزيرة ، كثيرة (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ، ما نفدت كلمات الله ، ان الله عزيز حكيم) لقمان ٢٧ .

وهى — أيضا — ذات وطأة ثقيلة «انا سنلقى عليك قولا ثقيلا» المزمل .

وثقل القرآن حقيقة معنوية قد لا تستوعبها الأذهان . والقرآن — كى نقدر أمر ذلك الثقل — يوضح المعنوى المحسوس ، ويورد صورا تمثيلية تعين على الاحساس بمدى الثقل المنوه به .

١ — ضرب لنا مثلا يجسم شدة أسر القرآن ، وقوة تأثيره ، وحتمية غلبته فقال : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) الحشر ٢١ .

وظنى أن مركز الثقل فى القرآن هو حقائق التوحيد .. وايحاء بهذا اتبعت (بالبناء للمجهول) آية الثقل بآيات مباشرة تتناول ركائز التوحيد ، وتهدى الى صفات الكمال

والجلال والجمال : (هو الله الذي لا اله الا هو ، عالم الغيب ، والشهادة ، هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذى لا اله الا هو ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق ، البارىء ، المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات ، والأرض ، وهو العزيز الحكيم) الحشر ٢٢ — ٢٤ .

٢ — ومثل لنا جسامة المسئولية ، وخطورة العاقبة التى تتأتى من التفريط فيما حملنا من أمانة فقال : (انا عرضنا الأمانة على السموات ، والأرض والجبال فابين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) ٧٢ الاحزاب

الوعاء والموعى

وشهر رمضان شهر اضفى عليه من المهابة ، والجلال ، والتكريم ما اضفى . ولا عجب فهو الوعاء الزمنى الاول لبينات القرآن ، وأشفيته الآسية الهادية ، ولا نزاع فى أن قدر الوعاء من قدر الموعى (١) والمولى جل وعلا — فى ايجاز معجز جمع كل صنوف الشرف لرمضان وارتفع بقدره ارتفاعا لا يدانى ، أجمل كل هذا فى كلمات ثلاث حملن فى تضاعيفهن معانى تزخر بالتمجيد والتكريم : (انزل فيه القرآن) .

وبهذا الثناء الوجيز الملىء تميز رمضان بعد أن كان فى الجاهلية ذكرى هجير ، ورمضاء ، اضحى به ينضح بالأنداء ، والأضواء ، والعبير الجميل .

ولقد كان — من قبل — عاطلا فتحلى ، وازدان ، وكان خاويا فامتلأ ، وعظم ، وكان مجهرد كم فتكيف(٢) ، وزخر بالمعنى .

واستمرار العلاقة بين الوعاء ، والموعى ، بين الشهر ، والقرآن — تلاوة ، ووعيا ، وتطبيقا — عزيمة ، وأمر مطلوب . وتحقيقا لهذا كان جبريل عليه السلام يلقى الرسول ﷺ كل ليلة فى رمضان يعرض عليه النبى ﷺ القرآن . وكذلك ندب المسلمون الى مزيد من العبادات «من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه مسلم .

وابتغاء هذا الجزء كانوا يحرصون على قيام دسم حشوا ديمه قرآن . روى الامام مالك باسناد صحيح عن السائب بن يزيد قال : (أمر عمر أبى بن كعب ، وتميما الدارى أن يقوما للناس فى رمضان باحدى عشرة ركعة ، فكان القارىء يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصا من طول القيام ، وما كنا ننصرف الا فى فروع(٣) الفجر) . وروى مالك — ايضا — باسناد صحيح عن الأعرج قال : (ما ادركنا الناس الا وهم يلعنون الكفرة فى رمضان قال : وكان القارىء يقرأ

(١) الوعاء شهر رمضان ، والموعى هو القرآن .
(٢) تكيف أى صار كيفا .
(٣) فروع الفجر اوائله واعاليه .

سورة البقرة فى ثمان (١) ركعات واذا قام بها فى ثنتى (٢) عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خلف)

واذا استحكمت هذه الصلاة بين القرآن والشهر آتت اكلها ، ورسخت وسرى تيارها من رمضان الى سائر الشهور ، والنتيجة ان يحلولى المؤمن ، ويطيب مصداق ما روى فى الصحاح عن ابى موسى الاشعرى قال : قال رسول الله ﷺ (مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الاترجة(٣) ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل الثمرة ، لا ريح لها ، وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب ، وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر) .

ونتيجة هذا الارتباط المقدس بين القرآن والصيام أن يشفعا يوم القيامة فى صاحبهما وفق ما رواه أحمد ، والبيهقى ، والحاكم وصححه عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام : اى رب ، انى منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ، فيشفعان » .

ربيع القلوب

روى الامام احمد ، وابن حبان ، والحاكم « وصححه »(٤) عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال : (ما اصاب عبدا هم ، ولا حزن فقال : اللهم انى عبدك ، ابن عبدك ، ابن امتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك ، اسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، او انزلته فى كتابك ، او علمته احدا من خلقك ، او استأثرت به فى علم الغيب عندك . ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى ، وذهاب همى ، الا اذهب الله حزنه ، وهمه ، وابدله مكانا فرحا) .

وطلب ان يكون القرآن ربيع القلوب دعاء فريد يسترعى الانتباه ، ويستدعى التفكير ، والحق أن العبارة « ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى » جامع دعاء ، وجماع خير ، ذلك لان السؤال :

١ ـ استعاذة ضمنية من الجفوة ، والجفاف ، والغلظة ، والانطوائية ،

---

(١) هى ركعات التراويح .

(٢) هى ركعات العشاء والتراويح .

(٣) فاكهة تتميز بالطعم المسائغ والرائحة الطيبة قيل هى الترنج . جاء فى القاموس : والاترج والاترجة ، والترنجة والترنج معروف ، حامض يسكن غلمة النساء ، ويجلو اللون ، والكلف ، وقشره فى الثياب يمنع السوس . قال صاحب التوشيح : ان الجن لاتدخل بيتا فيه اترجة . قيل ومنه تظهر حكمة تشبيه قارىء القرآن به فى حديث الصحيحين .

(٤) قال الحاكم هو صحيح على شرط مسلم ان سلم من ارسال عبد الرحمن عن ابيه ، فانه مختلف فى سماعه من ابيه .

وسوء الطالع ، وتطلع الى الطهارة ، والنقاء ، والتين ، وحسن الطالع .

٣ ـ ويوحي بأن القرآن غيث غاث ، وأن القلوب حيالة تتصنف على النحو الذي جاء في الحديث الصحيح : (مثل ما بعثني الله به من الهدى ، والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكانت منها أجادب(١) أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا ، وسقوا ، وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى ، انما هي قيعان (٢) لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به فعلم ، وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) متفق عليه .

٣ ـ والسؤال يشي بطلب تنبت القلوب ، وعمارتها بالايمان حتى تغدو خصبة جيدة رزينة بلا تحجر ، أو ميوعة ـ حتى تغدو متهيئة لفيوض القرآن .

٤ ـ وفيه تشوق لبركة ربانية تمس القلوب فتكسبها قدرة على التفاعل مع هدايات القرآن .

٥ ـ وفيه التطلع الى النضارة ، والازدهار والجمال حتى يتحلى المؤمن بجاذبية تجمع ، وتمتع .

٦ ـ وفيه طلب لهز نوازع النفس الدنيا من شح ، وبخس ، حتى يطيب العطاء ، ويدوم التجاوب الحبيب مع الناس غالبة .

٧ ـ وتستوحي عظمة القرآن ، وجلال قدره من : (أ) السياق الذي ينشي عن غاية الخضوع وتنتهي التذلل ، والاذعان ، والانقياد « اني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ناصيتي ... الخ » .

(ب) ومن الالتفات الضارع الذي ينشي عن الثقة ، والحاجة ، واللهفة البالغة « امتلأ بكل اسم هو لك ... الخ » .

(ج) ومن الاستعانة المنوحة التي تنور في أبيات الكتاب وتلهم المجتهدين بالقرآن الصحة النفسية ، والشفاء ، والعطاء الجميل « ربيع قلبي ، ونور بصري ، جلاء حزني ، ذهاب همي » وظني أن المطالب الثلاثة الأخيرة تترتب على المطلب الأول ، وتنبع من تحققه . وهكذا الدعاء المفاتيح لاشتغاله بشأنه بائنة المعنى ، فاشرعت ، وطلبت ، وولجت ، وتلاشت ، وشكلت تجسيدا لوعد اخوانه السعيدة ، وزملائه الأخوة ، وطابعه الحركة المتوقة الرشيدة .

اسعدت قلوبهم بفيوض القرآن مزدهرة ناضرة تحقيقا لقول الكريم : (ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه ، فآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ...) .

---

(١) جمع أجدب والمراد الأرض الصلبة التي تمسك الماء فلا يشرب .

(٢) جمع قاع وهي الأرض المستوية

يعالجون بليسه الاوضار (١) النفوس ، ويجلون بانواره غبشة (٢) القلوب : (... قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم) المائدة ١٦ .

ولقد علموه حد جهاة مصداق قول الله : (يايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) ٢٤ الانفال .

وراوه بحثا ، وجبوبة متدفقة مصداق قوله سبحانه : (او من كان ميتا ، فاحييناه ، وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ، ليس بخارج منها ..) ١٢٢ الانعام .

وادركوه روحا تسرى فى تجمع الاسلام العضوى توحد بين القلوب وان عددت الاجساد وبين الغايات وان اختلفت الوسائل ، وتطوع المجتمع بطابع المشاركة الوجدانية (اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر ، والحمى) .

واتخذوه خلقا ، وحاضرا ، ومستقبلا ، واحسنوا التعامل ، والتفاعل مع هدايته .

قال ابو عبد الرحمن السلمى : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن انهم كانوا اذا تعلموا من النبى ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا : فتعلمنا القرآن ، والعلم ، والعمل جميعا .

وتحقيقا لهذا التفاعل طالت وقفاتهم أمام السورة من القرآن ، حتى ان الرجل منهم كان اذا قرأ البقرة ، وآل عمران جل فى نظرهم ، وحتى ان ابن عمر اقام على حفظ البقرة عدة سنين .

ولا عجب فقد كان رائدهم قول الله : (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر اولو الالباب) ص ٢٩ .

وكان من بواعثهم الخوف من ان يقعوا تحت طائلة قول الله : (افلا يتدبرون القرآن ، ام على قلوب اقفالها) محمد .

او ان يصيبهم لهيب الانكار الرادع فى قول الله : (قد كانت آياتى تتلى عليكم ، فكنتم على أعقابكم تنكصون (٣) . مستكبرين (٤) به سامرا تهجرون (٥) . افلم يدبروا القول ، ام جاءهم مالم يات آباءهم الاولين (٦) ..) المؤمنون ٦٦ .

بخارى احمد عبده

---

(١) الاوضار درن القلوب . (٢) الغبشة — بضم الغين وتسكين الباء — الظلمة . (٣) تعرضون عن سماعها اشد الاعراض . (٤) مكذبين بالقرآن . او مستكبرين بمجاورتكم للبيت . (٥) تعرضون عن القرآن ، وتتسامرون ليلا بالطعن فيه ، والتعريض به . فكلمة « تهجرون » أما من الهجر — بفتح الهاء ، واما من الهجر — بضم الهاء . بمعنى الفحش فى القول .

(٦) اى من الهدى والحق فراوه غريبا فاستبدعوه واستبعدوه لانه غير مالوف ، وجهلوا ان المالوف قد يكون باطلا . وان غير المالوف قد يكون حقا .

بَابُ السُّنَّة

يقدمه

فضيلة الشيخ محمد علي عبد الرحيم

الرئيس العام للجماعة

ضبط النفس عند الغضب

من أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب) متفق عليه .

معاني المفردات

الشديد = قوى الجسم .

الصرعة = الذى يصرع غيره ، أى يرميه على الأرض بعنف

يملك نفسه = يمنعها من الاندفاع .

ترجمة الراوى : سبق أن ترجمنا لأبى هريرة رضى الله عنه فى شرح أحاديث آخر .

الشرح

من حسن تربية النبى ﷺ لأصحابه أن يكظموا الغيظ عند الغضب حتى لا تتمكن منهم ثورة الغضب ، التى يترتب عليها شهوة الانتقام .

وقد جعل الله عز وجل الكاظمين الغيظ من عباده المقربين ، الذين أثنى عليهم بقوله الكريم (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين) وقال سبحانه وتعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) وهم الذين يمشون

على الأرض متواضعين لا متكبرين واذا تعرض لهم الأشرار بالسفاهة أعرضوا عنهم ترفعا عن الاساءة ، صونا للكرامة ، وبعدا عن الوقوع فى الاثم .

والمؤمن عناصر الخير تعمر ثورته عند الغضب بالحلم ، ويصرع نفسه بثباته ، فلا يسترسل فى الغضب الذى قد يؤدى الى الجرائم ، بالسب والشتم والضرب والقتل . وحذر الله ممن تمكن منه الغضب .

فمن ملكته عند اشتداد غضبه ، كان أحد رجلين ممن يصرع غيره. لأن الغضب من غرائز الانسان ، التى يثيرها اعتداء على حق ، أو انتهاك لحرمة . ومن استحوذ عليه الغضب تغير وجهه واحمرت عيناه، وانتفخت أوداجه ، واندفع الى الانتقام الذى يرديه الى المهالك . فيتعرض للندم ، أو للاعتذار ، أو اقامة الحد عليه .

فعندما للمواقف الوخيمة عند الغضب عالج النبى ﷺ هذه الرذيلة بالحلم ، وضبط النفس عند ظهور دواعى الغضب .

فكم من بلايا الشرور تولدت من ثورة الغضب ، وكم من منافع كسبها الحليم ،وأخضع عدوه . قال تعالى : (ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) .

وقد ساد النبى ﷺ الخلق بحلمه الذى لا نزعه عواصف السفهاء ، وكان لا يغضب الا اذا انتهكت الحرمات . قالت عائشة رضى الله عنها (ما غضب النبى ﷺ لشىء فى نفسه قط ، الا أن تنتهك حرمات الله ، فينتقم لله) رواه البخارى وغيره .

ومن أمثلة حلمه عند الغضب :

١ ــ دخل أعرابى على النبى ﷺ ، وجذبه من طوقه جذبة عنيفة (وكان الرداء خشنا غليظا فجرح رقبة النبى ﷺ) وقال : يامحمد . مر لى بحملان فاحمل لى عليهما من مال الله الذى عندك . فانك لاتعطينى من مالك ولا من مال أبيك . فسكت النبى ﷺ ، ثم قال : المال مال الله ، وأنا عبده ، وليعاد لى منك (أى تطلب على ما فعلت معى) قال الأعرابى لا . قال الرسول : فلعلك ظننت أنى أفعل بك السيئة بالسيئة . فسكت النبى ﷺ ، وأمر عمر ليعادل ــ بتشديد الميم ــ أحد البعيرين شعيرا والآخر تمرا .

٢ ـ اقترض النبى ﷺ بعيرا ، وجاء صاحبه يسترده وأغلظ القول للنبى ﷺ . فأراد بعض الصحابة أن يتعرض له . فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : دعوه فان لصاحب الحق مقالا .

٣ ـ ويروى أن النبى ﷺ ، اشترى سلعة من يهودى بثمن مؤجل ، فجاء اليهودى يطالبه بالثمن قبل الميعاد . فقال النبى ﷺ : لم يحل الميعاد . فقال اليهودى : انكم يابنى عبد المطلب مماطلون . فهم بعض الصحابة بتأديبه فمنعهم النبى ﷺ . فقال اليهودى : كنت عرفت منك أمارات النبوة الا واحدة ، هى أن الجهل (السفه) عليك لايزيدك الا حلما . وقد عرفتها الآن ، وأسلم .

٤ ـ وهل هناك عفو أعلى من عفوه عن كفار قريش ، يوم فتح مكة ؟ وهم الذين آذوه وأخرجوه من بلده وكانوا مصدر البلاء والفتن . فلما أتم الله به الفتح المبين ، وحكمه من رقابهم لم يعاملهم بما يقابل جرائمهم . بل قال لهم (لاتثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء) .

٥ ـ ومثل هذا ما كان من عفوه عن رجل حمل سيفه ليقتله ، وقد شهر سيفه فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : من يمنعك الآن منى ؟ قال : الله ، فسقط السيف من يد الرجل فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم وقال للرجل : من يمنعك الآن منى ؟ قال الرجل يستحى عفوك يارسول الله ، فعفا عنه .

فالحلم سيد الأخلاق ، به يصون الغضبان نفسه عن الوقوع فى المهالك ، ويعلو قدره عند الناس ، وتسمو منزلته عند الله .

وقد وصف لنا النبى ﷺ علاجه عند الغضب .

أن يغتسل الانسان عند الغضب . وذكر النبى أن الغضب من الشيطان . وهل يطفىء النار الا الماء ؟ . فان لم يكن غسل فالوضوء .

وعلى الغضبان أن يغير حالته ، ويستعيذ بالله من الشيطان ، وان كان واقفا جلس ، وان كان جالسا اضطجع ، فهذه كلها تأخذ النفس الى الهدوء والسكينة .

وقد أخرج البخاري عن أبي هريرة قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله أوصني . فقال : لاتغضب . ثم ردد ذلك مرارا ، فقال : لا تغضب .

فهذا الرجل ظن أنها وصية صغيرة . ويريد أن تكون الوصية ذات كلام كثير . ولكن الرسول ﷺ أوتي جوامع الكلم . فقوله لا تغضب ينطوي على أمور كثيرة .

١ ـ التخلق بالحلم والصبر .

٢ ـ التمرن على حسن الخلق .

٣ ـ دفع الغضب يمنع الانسان من الوقوع في الأفعال والأقوال المحرمة ، التي يقتضيها الغضب .

٤ ـ توطين النفس على ما يصيب الانسان من أذى الناس قولا وفعلا . والعبد القوي لا تسيطر عليه قوة الغضب ، فان أقوى الناس من ملك نفسه ، ولم يكن صريع شهوته وغضبه .

كان المأمون (الخليفة العباسي) يصب على يديه الماء عبد له ، فيغسلهما بعد طعام . فصب العبد الماء بشدة حتى ابتلت ثياب المأمون ، فغلب العبد وقال للمأمون : والكاظمين الغيظ ، فقال المأمون : قد كظمنا غيظنا ، فقال العبد : والعافين عن الناس ، فقال المأمون : قد عفونا عنك ، فقال العبد : والله يحب المحسنين . فقال المأمون : قد أعتقناك حرا لوجه الله تعالى .

وازن أيها القارئ حلم المأمون ، بغضب غيره من أولياء الأمور ، الذي اذا غضب قتل كالحجاج ، وبعض الحكام لايملك نفسه عند الغضب ، يجور ويظلم ، ويزج بالأبرياء في السجون . فيختل الأمن ، ويسود الاضطراب ، وتسوء العاقبة والعياذ بالله .

وقانا الله شر الغضب ، وجعلنا بالعفو عند المقدرة . فمن عفا وأصلح فأجره على الله .

محمد علي عبد الرحيم

باب الفتاوى

يجيب على هذه الاسئلة فضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم الرئيس العام للجماعة

١ ــ ارسل الينا القارىء / عمر خميس على عوض ــ بكلية التجارة باسيوط رسالة يذكر فيها انه شهد مجلسا لتحضير الارواح .

ونقول له : كل ما يقال عن تحضير الأرواح نوع من الدجل . وليس بصحيح انهم يستطيعون استحضار روح الحسين رضى الله عنه أو غيره، سواء كان شهيدا أو تقيا أو شقيا .

والكسب من هذه المهنة ككسب الساحر والمنجم . والاسلام يحرم ذلك .

٢ ــ ووردت الينا رسالة من الطالب نوبى ابو زيد جيلانى بمدرسة الاقصر الثانوية العسكرية .

يأخذ على كتاب التربية الدينية للصف الاول الثانوى ، أخطاء تنسب زورا الى صحابة رسول الله ﷺ . كقولهم انتشر الغنى فى طبقة معينة، وانتشر الفقر فى الطبقة الاخرى وان اباذر رضى الله عنه يعتبر محامى الفقراء .

ونقول ان هذا الهراء ببعثه التدريس الاشتراكية ، والحقيقة كان منهم تجار وعندهم كثير كلبى بكثير ، وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم . وكان منهم من يتصدق بجبال الذهب بغير كعثمان رضى الله عنه . والنيل من صحابة رسول الله ﷺ فى الكتب المدرسية يجب رده ويجب تصحيح الكتب بما يطابق الواقع ، لأن سب الصحابة من الايمان .

٣ ــ وسأل الطالب / بدوى احمد على / ثالثة آدبى بسوهاج الثانوية العسكرية عن موقف الدين الاسلامى من الأغانى .

الجواب : سبق أن أجبنا عن مثل هذا السؤال مفصلا فى مجلة التوحيد عدد شهر رجب ١٤٠٥ بصفحة ٢١ .

واما سؤاله عما يسقط منه بعد الوضوء نقطتان من البول قبل الصلاة وذلك بكثرة مستمرة . فهل يعيد الوضوء؟ وهل يعيد الصلاة . والجواب بعون الله نقول :

هذا سلس البول . ويلزمه أن تعالج نفسك طبيا منه وأنت فى متقبل عمرك .

ولكن اذا استمرت هذه الحالة عندك ، فما عليك الا ان تتوضأ لكل وقت والا تعيد الوضوء ولا تعيد الصلاة ، فلا يكلف الله نفسا الا

وسعها . وان نزلت نقط البول اثناء الصلاة فهل تعفى عن ملابسه وصلاته صحيحة . والله اعلم .

٤ — وتسأل الطالبة م.ع.ح بالجيزة : تعلو خنيني الشعر الذي بداخل الانف الى حديثة تجعلهم النفس . وتشكو من كثرة شعر الانف الذي يضايقها .

والجواب : اعلمي ان تحريم النفس هو في حالة الوضوء وغيره فيها سوى ذلك خلق للمحافظة الزينة ، ولكن شعر الانف بعيد عن هذه الوجهة ، وقد خلق الله شعر الانف لحكمة وهي منع النفس من الخارج . فلا يدخل في الزينة . فان كان كثيرا يعوق النفس فلا حرج عليك في قص الزائد الطال من المنخرين . والله اعلم .

٥ — ويسأل القارئ عبادة كامل شهاوي ، من قرية الشيخ مبارك في بلطيم عن حكم التغني بالاذان ، والترنم بالقرآن في المسجد ، والتغني بالتراتيل بالمساجد .

والجواب : كل ذلك من البدع في الدين مهما استحسنها الناس . فقد قال ﷺ (من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد) اى باطل ومردود عليه .

وقال عليه الصلاة والسلام : (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) رواه النسائي واصحاب السنن . وقال ابن عمر رضي الله عنهما (كل بدعة ضلالة وان رآها الناس حسنة) رواه الديلمي وغيره .

اما القرآن عبادة ، ويجب ان تضعه حيث وضعه رسول الله ﷺ ، كذلك التراتيل ضرب من الاغاني او الدعوات او المدائح . وكل ذلك محرم في المساجد — وتشتد الحرمة اذا صاحبها تهريج وضجيج واستحسان المستمعين .

واذا كان نهينا ﷺ عن الجهر بالقرآن بالمساجد . فجدير بنا الامتناع عن رفع اصواتنا بالمساجد . قال صلى الله عليه وسلم (لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن) واعلم ان المسجد يقوم فيه المراكع والساجد ، والمؤدي لتحية المسجد ، او القائل لكتاب الله سرا ، او المشتغل في تسبيح الله وتكبيره سرا . لقوله تعالى (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر في القول) فاذا رفعت الاصوات بالمسجد اما بقراءة قرآن او تواشيح او اذكار فكل ذلك من البدع التي احدثها الشيطان .

فما فعله الرسول ﷺ ، فعلناه ، وما تركه تركناه ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ . والله اعلم .

٦ — وبعثت القارئة / ز.ا.ع من محافظة الجيزة خطابا مطولا تعرض فيه مشاكل عديدة بينها وبين اهلها بالنسبة للحجاب ، وخشونة بالمواد للعمل مع اشتغالها بالزجاج ، في الجامعات ومعاهد التعليم ، وكراهة

ابيها لقبولها وحفظ شيء من القرآن الكريم وتقول انها لاتستطيع اقناع ابيها وامها التي تود ان ترتدي الملابس غير السافرة — وتسرد مشاكل كثيرة قامت بينها وبين أهلها بسبب الدين وتعاليمه .

ونقول لهذه الفتاة البالغ سنها ١٦ عاما : عليك بالرفق والاحسان معهما ولا بأس من أن تستعيني بأحد الاقارب الذين يؤثرون الدين على الدنيا لاقناعهم .

ونسأل الله تعالى أن يهدي والدتك الى الحق ، وتولى فى دعواتك (اللهم اجعل لى من لدنك وليا ، واجعل لى من لدنك نصيرا) .

وصفوة القول ان حجاب المرأة واجب فى الاسلام ، واختلاطها بالرجال محرم مهما قال اهل البدع والخرافات . فالصبر الصبر ومن يتق الله يجعل له مخرجا . والله اعلم .

٧ — ويسأل القارىء / احمد فؤاد السيد / من قرية زاوية صقر / محافظة البحيرة : عن معنى حديث اثنان خير من واحد ... الى قوله ان الله لن يجمع امتى الا على هدى .

والجواب : هذا الحديث مطعون فيه . ويؤدى هذا المعنى ، حديث صحيح بقوله ﷺ (صلاة الرجل مع الرجل خير من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين خير من صلاته مع الرجل) وحديث (يد الله على الجماعة) حديث صحيح .

ويقصد منهما التجمع على الخير ، والتعاون على البر والتقوى ، وفضل صلاة الجماعة . والله أعلم .

٨ — ويسأل القارىء / محمد رجب محمد بكلية الزراعة بالزقازيق عن حكم حلق اللحية .

والجواب : انه ورد فى اللحية نصوص صريحة عن نبى الهدى ﷺ قال : (احفوا الشارب واعفوا عن اللحى) والكلام فيها كثير ، ومبسوط فى الكتب الصحيحة ، مثل كتاب السنن والمجموعات المتعلقة بالاذكار والصلوات ، وكتاب فى اللحية للمؤلف محمد حامد . وقد تناول كتاب الفقه على المذاهب الأربعة (طبعة وزارة الاوقاف المصرية) هذا الموضوع باسهاب . ولكن القدوة السيئة فى العلماء الذين يحلقون لحاهم ويفتون بأن حلقها مكروه فقط فالحلال بين والحرام بين . نسأل الله ان يهدينا الى الصواب والحق .

٩ — ويسأل القارىء ع . خ . الشابقي من السودان عن اعتقاد والده فى القبور بالمساجد ، ويطلب منه ان يصحبه للتبرك بها .

كما يسأل عن العمل بالبنوك التى تتعامل بالربا .

والجواب عن الفقرة الاولى : يجب اقناع والدك بأن اتخاذ القبور مساجد امر يحرمه الاسلام ، ولذا لا تزار هذه القبور ، ولا يصلى اليها (وان جاهداك على ان تشرك بى

ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفا) .

واما العمل في البنوك الربوية ففيه تعاون على الاثم والعدوان . والله اعلم .

١٠ ــ ويسأل القارىء/عمر ابو الفضل عبد الوارث . من طهطا بسوهاج عن راتبه الذى يتناوله من المرافق التى ترابى ، وتقرض المدينين نظير فائدة معلومة ، وانه سأل بعض العلماء فافتوه بان المراتب مختلط بالربا . ويخشى ان تاتيه المنية قبل التوبة .

والجواب : جزاك الله خيرا فانت تحب ان تلقى الله تعالى بقلب سليم. واذا كان النبى ﷺ يقول (دع مايريبك الى ما لا يريبك) ويقول (اتقوا الشبهات) ويحث كل مسلم على ان يستبرىء لدينه . فننصح بالتعامل مع البنوك الاسلامية ، والشركات الاسلامية التى لا ترابى (فالحلال بين والحرام بين) والله اعلم .

١١ ــ يسأل القارىء / محمد زكى الوزان / ش محطة القبارى بالاسكندرية عن التصوير ، وعن كيفية احتساب زكاة الذهب .

والجواب : اما التصوير فقد سبق الاجابة عنه اكثر من مرة .

واما زكاة الذهب : فان بلغت قيمته الف جنيه مصرى وجبت فيه زكاة بمقدار ٢ر٥ ٪ اى ٢٥ جنيها عن كل الف ولا عبرة بقول ان كان الذهب ملبوسا فلا زكاة فيه . هذا قول مبنى على راى يخالف النص .

فقد راى رسول الله ﷺ سوارين من فضة فى يد عائشة رضى الله عنها. فقال لها : هل اديت حق الله فيهما ؟ قالت لا : قال فانما هما سواران من نار .

١٢ ــ ويسأل القارىء حافظ عرابى من جزيرة الخازندارية بطهطا عن حكم قول القائل : مدد ياشيخ فلان ، وحكم الصلاة خلفه ، وخاصة اذا توسل بالقبور .

والجواب : كلاهما شرك بالله ولا تصح الصلاة خلفهما لأن التوسل لايكون الا بأسماء الله الحسنى ، او بالعمل الصالح ، او بالدعاء من رجل صالح صح ايمانه وحسنت اعماله والله اعلم .

١٣ ــ يسأل القارىء / فرحات محمد احمد ابو حسن بكلية اصول الدين بطنطا عن المراد من قوله ﷺ (العلماء ورثة الانبياء) وعن معنى قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) .

والجواب : (١) عن الحديث : اى ان العلماء بعلمهم وامانتهم على العلم ورثوا عن الانبياء قيامهم بالدعوة الى الله خالصة ، ويحملون لواء التوحيد الذى حمله الرسل . فكل نبى قال لقومه (ان اعبدوا مالكم من اله غيره . وهؤلاء علماء الخير الذين لا يكتمون ما انزل الله من الهدى والبينات لانهم اعرضوا عن الدنيا

واقبلوا على الآخرة . وكانوا للامة بدلا من الأنبياء الذين غازوا بالعلم والعمل

(ب) ومعنى الآية الكريمة (انما يخشى الله من عباده العلماء) لأنهم اعرف الناس بالله بعد الرسل ، ويعبدونه على قدر معرفتهم له ولذا كانت خشيتهم لله أشد خشية فاتقوا الله تعالى فى علمهم ونشروه من غير تحريف ولا تزييف — اما علماء السوء الذين يكتمون الحق وهم يعلمون ، فقد تجردوا من الخشية ، واكبرهمهم ارضاء الناس بسخط الله . نعوذ بالله من علماء السوء الذين ضلوا واضلوا .

هذا وقد ارسلنا ردودا خاصة بالبريد لكل من :

١ — اصلاح عبد المنعم بركات بأحدية سيسل بالمينا الشرقية بالاسكندرية .

٢ — محمود السيد محمد عبد اللطيف الطالب بكلية العلوم بالمنصورة .

٣ — محمد عبد الحى بادارة التعليم فى بسيون .

٤ — ابراهيم عبد التواب السعيد فى بيلا كفر الشيخ .

٥ — ظريف عبد الرحمن سرور بالهفوف بالسعودية .

٦ — محمد غاروق ابو قمرة بالزقازيق .

٧ — محمد عبد الواحد محمود بالورديان بالاسكندرية .

٨ — سعيد على احمد بساتية مكى بالجيزة المساكن الشعبية .

ونذكر حضرات السائلين ان المجلة تستبعد من الاستفتاءات ما يلى :

١ — الاسئلة الكثيرة من شخص واحد .

٢ — عدم وضوح الخط والكتابة .

٣ — الاسهاب فى شرح المشاكل الخاصة .

وبقية الاجابات الى اعداد قادمة ان شاء الله تعالى والله المستعان .

محمد على عبد الرحيم

ركن المرأة المسلمة :

جهاد النساء في الاسلام

بقلم : ماجدة محمد سحاته

للمرأة — بلا شك — وضعها الخاص في المجتمع الاسلامي ، ولها مكانتها التي لايستهان بها — والتي لا تبخس للمرأة حقا — ولا تنقصها من انسانيتها قدرا ، بل ان المرأة المسلمة نازلة من مجتمعها منزلة تقدير وتوقير ، فلا تهان لها كرامة ، ولا يغمط لها حق ، اذ ان الاسلام انما ينظر الى المرأة نظرة وعى لطبيعتها ، ونظرة ادراك لحقيقة رسالتها ، ونظرة فهم لمقتضيات خصائصها التي جبلت عليها . ومن ثم فان للمرأة في المجتمع الاسلامي دورها المنوط بها — ولكن في حدود ذلك الاطار الذي حدده الاسلام ، وفي نطاق مارسمه الاسلام بحيث لايتنافى قيامها بهذا الدور مع طبائعها وامكاناتها كأنثى تختلف بلا شك في خصائص التكوين والتركيب مع الرجل ومقومات رجولته .. والا كان الخروج بها عما تقتضيه أنوثتها ، ولذاب ذلك الاختلاف البين بين كونية الانوثة والذكورة . ومن ثم بخس المرأة قدرها ، وامتهانها كرامتها ؛ اذ ان تكريمها انما يكون بعودتها الى ما تمليه عليها خصائصها كأنثى ، والا انقلبت الموازين رأسا على عقب ، وحينئذ لا يستثير العجب حين تصبح العصمة بيد النساء من غير سند او أن تمتنع المرأة عن الحمل والرضاعة ناعية على الرجال عجزهم عن ذلك ، ولا مانع أيضا — كما هو عليه الحال — أن تجد الرجل حبيس الدار يقوم على ترتيب البيت وتنظيفه واعداد الطعام منتظرا عودة زوجه من عملها ، واكثر من ذلك من الممكن حدوثه طالما أنه قد ترك للمرأة العنان ، تتصرف كيفما تشاء ، وبحسب ما تملى عليها الاهواء ، لاتحكمها طبيعة انثوية جبلت عليها ، ولا تحكمها بصيرة من شريعة تحدد لها موضع تكريم واحترام لملكاتها .

ومما لا شك فيه ان المقاييس قد انقلبت في عصرنا الحاضر ، وان ثمار الدعوة الى تحرير المرأة وسفورها وتبرجها قد آتت اكلها منذ زمن بعيد ، حين توارثت النساء راية هذه الدعوة ، فذهبن ينفثن في مجتمعنا المسلم سموم تحرر المرأة ومساواتها بالرجال في كل كبيرة وصغيرة ، ولقد نسي الداعون والداعيات الى تلك المساواة — بل لقد تناسوا — التمرد على خلق الله للنساء على تلك الشلكلة المخالفة في تركيب الاعضاء للرجال ، وربما يتداركون الامر فيما بعد فيعلنون ذلك جهرا . ولا عجب فهم يطمحون الى ما هو ابعد من ذلك ولا غرابة اذا ما حدث فهؤلاء انما تسيرهم الاهواء . وهم من الدين في حل ، ومن العقيدة في ارتياب ، وهم من قبل ومن بعد محبون لاشاعة الفاحشة في المجتمعات المسلمة ،

والعمل على هدمها وانهيارها ،حتى لا تقوم للاسلام قائمة ، اذ ان مفتاح افساد المجتمع هو المراة ، وما ترك رسول الله ﷺ فتنة اضر على الرجال من النساء . والطريق الى انحلال اى مجتمع انما هو المراة ، وتاريخ الحضارات شاهد على ذلك ، كما تداعت الحضارة اليونانية مثلا الا بخروج المراة وطرقها الشوارع والدروب ، ومزاحمتها الرجال والسير الى جانبهم على قدم وساق ، ومنى انتشرت النساء هنا وهناك يزاحمن الرجال ويحدقن فيهن الرجال بانظارهم انتشرت الفتنة لا محالة ، وافسدت على الرجال اخلاقهم ، ومتى تداعت الاخلاق فى النفوس ، فان الامم لا محالة ذاهبة وان المجتمعات من غير شك متداعية ، اذ لا سلطان للاخلاق على النفوس ، ولا مثلا طيبة يتعارف عليها الناس ، ومن ثم تعود المجتمعات الى حياة من الحيوانية واطلاق الرغائب والشهوات دون ضبط من حكمة التشريعات .

وما دام حال مجتمعاتنا قد اصبح على شفا حفرة من ذلك المصير الاليم فلا شك ان الداعين والداعيات الى تحرر المراة قد غرضوا بما عم فيسار الاسلام من سفور وتبرج ، وانهيار للاخلاق والقيم الاسلامية .. وذلك منتهى غاياتهم بالمراة السافرة المتبرجة يتحقق كل هدف خبيث للنيل من الاسلام ، واذلال اهله ، وجعل المسلمين فى انحطاط دائم وتخلف مستمر عن ركب القيادة والهيمنة .

ومن المؤسف له حقا ان تنطلق السنة اعداء الاسلام من المسلمين والمسلمات بمحاولة الصاق دعواتهم الخبيثة بالاسلام . وذلك بمحاولة الاحتجاج لدعواتهم من واقع ما كانت عليه بعض النساء فى العصور الاولى والزاهرة من حياة الاسلام . فقالوا بان المراة خرجت مشاركة رسول الله ﷺ معاركه وغزواته ضد الشرك واهله . وتلك قولة حق اريد بها باطل ، فهم يريدون المراة جندية بالمعنى المتعارف عليه الآن ، ويريدونها ضابطة شرطة بنفس المعنى ، وما ابعد مثل هذه المهن من طبيعة المراة ومقوماتها الانثوية التى فطرت عليها .

ولدحض مايريدونه من وراء تلك المقولة يجب ان نضع فى الاعتبار اولا وقبل كل شىء ان المراة فى ذلك العهد الراشد فى معاركه وحروبه لم تكن عاملا اساسيا ترتكز عليه معارك المسلمين وغزوات رسول الله ﷺ كما ان مشاركتها فى الجهاد كانت مشاركة فردية وليست جماعية ، وانها لم تكن تخرج الى تلك المشاركة الا باذن من رسول الله ﷺ وبالحاح منها[1] ، كما يجب ان نضع فى الاعتبار طبيعة تلك المشاركة ، اذ ان المراة لم تكن فى ذلك العهد تتلقى مثل تدريبات الفوارس من الرجال ، ولم تكن متسيفة او متدرعة ، اللهم الا نسيبة بنت كعب حين كانت تذود بسيفها عن رسول الله ﷺ يوم احد وغيرها من الصحابيات كالرميصاء

---

(١) كما يلاحظ ان المراة لم تكن تخرج فى هذه الغزوات الا مع ذى محرم .

حين اتخذت خنجرا تبقر به بطون من يمر بها من المشركين .

اذن ومن هذا كله يتبين لنا أن النساء لم يكن ينتظمن فى صفوف المجاهدين ، فتتكون منهن كتيبة نسائية لها دورها فى ادارة المعركة ، كما انه ليس على النساء تلبية داعى الجهاد وعدم التخلف عن ركبه كالرجال ، كما أنه وكما قلنا من ذى قبل بأن طبيعة مشاركتها تتناسب وطبيعة تكوينها ، وحديث أم عطية الانصارية يوضح مهام المرأة حينذاك ومنها يتضح مدى تناسبها وطبيعة خلق المرأة . تقول أم عطية فيما أخرجه الامام مسلم : [غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات وكنت أخلفهم فى رحالهم : أصنع لهم الطعام ، وأداوى الجرحى ، وأقوم على المرضى] اذن فصنع الطعام ومداواة الجرحى ورعاية المرضى من صميم ما يتسق ومهمتها كربة بيت يقوم على عاتقها مثل هذه المهام التى اتفقت ووضع المرأة فى أى مجتمع كما أنه يجب ملاحظة أن مشاركة المرأة على هذا النحو كانت تطوعا منها ولا الزام عليها، ان لم تقم به .

ولقد طمحت النساء على عهد رسول الله الى الجهاد مجتمعات، كما انهن قد طمحن الى التساوى مع الرجال فى أجر الجهاد ، فقد جاءت احداهن الى رسول الله ﷺ فقالت نيابة عن النساء : [يارسول الله انا وافدة النساء اليك ، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال ، فان أصيبوا اجروا ، وان قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ، ونحن معشر النساء نقوم عليهم ، فما لنا من ذلك ؟ فقال ﷺ أبلغى من لقيت من النساء : أن طاعة الزوج ، والاعتراف بحقه ، يعدل ذلك وقليل منكن من يفعله]

اذن طاعة الزوج والقيام بحقه يعدل فى الأجر والثواب الجهاد فى سبيل الله ، واذن فمكان جهاد المرأة انما هو بيتها وحسن تبعلها وقيامها بحق زوجها ، لا خروجها فى صفوف منتظمة حاملة سلاحها كما يريد لها دعاة السفور والتبرج ، وليتهم يريدونه لها فى مجتمع فضيلة وعفة ، يحكمه الاسلام ويعصمه الحياء ، بل يريدون لها الخروج فى مجتمع رذيلة وخسة ، يختلط فيه الرجال بنساء كاسيات عاريات ، وكأن كل هؤلاء الرجال عاجزون عن الحرب وكأن ساحة الحرب قد خلت من عناصرها الاساسية ولم يبق الا اعداد النساء لخوض الحروب والمعارك ، فيالها من مغالطة ويالله من الباس الباطل ثوب الحق !!

الا فليدرك هؤلاء المتحررون من الاسلام أن جهاد المرأة هو حجها واعتمارها وان صلاتها الخمس وطاعتها زوجها وصيامها شهرها كل ذلك يعدل الجهاد فى الاجر والثواب . . والا فلتدرك الاخت المسلمة ذلك وتعيه جيدا فانها هدف أولئك اذ يحاولون افساد دينها عليها ، والانحراف بالتزامها عن النهج القويم .. الا فلتوصدن الابواب دونهم .. وأريهم من التزامك وأقبالك على نهج أمهات ونساء المؤمنين ما يغيظهم ويحبط خططهم وعلى الله قصد سبيلك أيتها الاخت المسلمة الفاضلة .. هو سبحانه الموفق والمستعان ... ''

ماجدة محمد شحاته

أكاذيب على الهواء

بقلم / أبو الهيثم صقر جهنمية

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله

وبعـــد :

فقد كنت أستمع الى اذاعة القرآن الكريم يوم الأحد ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٠٥ الموافق ١٧ مارس ١٩٨٥(١) حيث أذيع برنامج « القاموس الاسلامى » عن العابد الزاهد على زين العابدين ـــ من آل البيت ـــ رحمه الله رحمة واسعة . وقد ورد فى هذا البرنامج أنه كان يصلى فى اليوم ألف ركعة !! واستوقفنى هذا العدد للتأمل ! .

ان رسول الله ﷺ هو القدوة والأسوة للمؤمنين مصداق قوله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ٢١ الأحزاب . فهل هناك من هو أكثر من رسول الله ﷺ ذكـــرا لله ؟

ان فعل رسول الله ﷺ هو الأكمل فلا نتقدمه ولا نسبقه الى خير نزعم انه لم يفعله ، ومن زعم ذلك وأنه فاق رسول الله ﷺ عبادة فقد كذب

---

(١) وقد حدث فى صبيحة نفس اليوم بينما كنت متشوقا لسماع ترتيل آيات الذكر الحكيم من اذاعة القرآن الكريم اذا بى أسمع «قداس الأحد» للبابا شنودة .. ثم قالوا انه خطأ غير مقصود (خطأ فنى) ونحن لا نكذب هذا .. ولكن لنا أن نتساءل كيف حدث هذا وهل اتخذت الاجراءات لعدم تكراره مرة اخـــرى ؟

وظلم نفسه فكيف تتقدم عليه صلوات الله وسلامه عليه بقول أو فعل والله تعالى يقول « يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ، واتقوا الله ، ان الله سميع عليم » ١ الحجرات .

وهذه الأسوة تذكرنا بالتشديد على بشرية الرسول ﷺ « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد .. » الآية الأخيرة من سورة الكهف . حتى لا نغلو فيه ﷺ ، وكما تواضع ﷺ فقال : لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد .. ، وحتى لانتهاون فى الطاعات ولا نغالى فيها بزعم زاعم أن الرسول ليس بشرا ، فمن يطيق مايطيق ، أو أنه مغفور له معفى من العبادة .. والباب فى هذه المسألة فيه كلام كثير ، ولكنى أوجز . ورسول الله ﷺ هو خيرنا جميعا سابقنا ولاحقنا ، وقد كان يأكل ويشرب وينام ويقوم ويأتى النساء . عن أنس رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى ﷺ ، يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا : أين نحن من النبى ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا . وقال آخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله ﷺ اليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتى فليس منى . قرأته فى البخارى . وقال فى رياض الصالحين (أى النووى) متفق عليه . وله فى هذا باب اسمه « فى الاقتصاد فى العبادة » لمن شاء المزيد فيه .

وأنقل عنه حديثا آخر عن أبى عبد الله جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: كنت أصلى مع النبى ﷺ الصلوات فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا قال النووى : رواه مسلم . وقصدا : أى بين الطول والقصر . أ . ه

وصلاته ﷺ فيما تتبعت من الروايات وأخذت بالحد الأعلى فيها أحصيت فيها ثمانية وخمسين ركعة فى اليوم . للصبح ٢ و ٢ ، والضحى ٨ ،

والظهـر ٤ و ٤ و٢ والعصر ٤ (سنة غير مؤكدة) و٤ و٢ (بعد العصر قيل هما الركعتان بعد الظهـر كان شغل عنهما ﷺ فصلاهما بعد العصر والتزم ذلك فيما بعد وقيل خلاف ذلك) والمغرب ٢ (قبل المغرب لمن شاء) و٣ و٢ والعشاء ٣و٢ والقيام والوتر ١٣ فيكون المجموع ٥٨ ركعة ، ولو احتسبنا ركعتين بعد كل وضوء .. فهل نزيد على عشرة ؟ ..

ما كان ﷺ يصلي ألفـا .... ولا نحسب صحابته ولا التابعين من بعده ولا السلف الصالح جميعهم وفيهم من آل البيت يفوقون ويتزيدون على رسول الله ﷺ .

واذا أضفنا الى ذلك عملية حسابية بسيطة : ألف ركعة فى متوسط زمنى للركعة الواحدة دقيقتان يساوى ذلك ألفين من الدقائق . وهـذا أقل زمن تستغرقه صلاة ذلك السلف الصالح ... فاذا صمنا (خصمنا) من اليوم أوقات للنوم والطعام .. الخ والأوقات المنهى عنها « لاصلاة بعد صلاتين بعد الصبح حتى تطلع الشمس وبعد صلاة العصر حتـى تغرب ..» جزء من حديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عـن النبى ﷺ . رواه البخارى . فكم يبقى من النهـار اذا علمنا أن اليوم يساوى (٢٤ ساعة فى ٦٠ دقيقة) ١٤٤٠ دقيقة ؟ وتلك الصلاة تقتضى وقتا قدره ألفان من الدقائق؟!أفلا نعقل عقلا وهبه الله لناوشرعاشرعه الله سبحانه وتعالى لنا ؟ تلك هى الأحدوثة و « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » سورة ق — ٣٧ .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ،،

أبو الهيثم صقر جندية

بين هوى الأديب وعلم العالم

بقلم: حسن محمد الجنيدي

ـ قال أحد الشيوخ الأدباء فى كتابة « شهيد المحراب ، عمر بن الخطاب » فى الفقرة الأخيرة من ص ٢٣١ من الكتاب المذكور ما نصه : « ولئن كان هواى مع أولياء الله وحبهم والتعلق بهم ، ولئن كان شعورى الغامر بالأنس والبهجة فى زيارتهم ومقاماتهم بما لا يخل بعقيدة التوحيد ، فانى لأروج لاتجاه بذاته . فالامر من أوله الى آخره أمر تذوق . وأقول للمتشددين فى الانكار : هونا ما فما فى الامر من شرك ولا وثنية ولا الحاد ، وأقول للمحبين رفقا ما حتى لا تجعلوا لمنكر عليكم سبيلا ، وان كان الهوى غلابا » .

ـ ثم يواصل الأديب حديثه عن هذا الهوى الغلاب مستشهدا شعرا ونثرا فيبدأ ص ٢٣٢ من نفس الكتاب منشدا البيت التالى :

لها أحاديث من ذكراك تشغلها .. عن الشراب وتلهيها عن الزاد

ثم يستمر قائلا :

والحب لا يرتوى منه ناهله ، كلما سما فى الحب روحا ازداد شوقه الى الرى والامتلاء ، ثم ينشد مرة ثانية فيقول :

شربت الحب كأسا بعد كأس .. فما نفد الشراب وما رويت

ثم يعلق على أبيات الحب وكئوس الهوى قائلا :

فليقل فى حب الله وأوليائه من يريد أن يقول ، فما ذاك بصاد المحب عن هيامه وهواه ، وان لم يزده تدلها وفناء(١) .

---

(١) الفناء من شطحات الصوفية فى القرن الثالث الهجرى والتى طورها ابليس اللعين وجنوده فى القرون التالية حتى وصلت الى نظرية الحلول على لسان ابن عربى فى الفصوص .

انتهى الاقتباس ، ونقول وبالله التوفيق أن الشيخ الاديب لاتجدى معه حجة ولا برهان لان هذا يزده تدلها وفناء كمـا قال بلسان حاله فالأمر عنده من أوله الى آخره أمر تذوق والهوى عنده غلاب ، ولكننا نجد أنفسنا مضطرين لأن نسوق له ولأتباعه هدى نبينا صلى الله عليه وسلم من الأحاديث النبوية التى أوردها فضيلة الشيخ السيد سابق فى فقه السنة الجزء الأول ص ٢١٤(١) لأن فضيلة الشيخ السيد سابق ينتسب لنفس الجماعة التى يتزعمها الشيخ الأديب الذى يدعو أتباعه الى التعرض لمقابر الصالحين وأن يقتربوا ويغترفوا من الرحمات التى تتنزل عندها(٢) لأننا معذرة الى ربنا نخشى على هؤلاء الأتباع أن يأتوا يوم القيامة فيشـــهد عليهم سمعهم بما سمعوه من ألفاظ شركية عند هذه المقامات والأضرحة والمشاهد والمقاصير والحسينيات (نسبة للحسين بن على بلغة الشيعة) حيث يدعوهم امامهم وشيخهم الى الاقتراب والاغتراف . كما نخشى على هؤلاء الأتباع أيضـا أن تشهد عليهم أبصارهم بما شاهدوه بأعينهم من جباه تسجد لغير الله عند عتبات هذه المقامات والأضرحة والمشاهد والمقاصير والحسينيات فاليهم بالذات نسوق ما أورده فضيلة الشيخ السيد سابق فى المرجع المشار اليه آنفا :

١ ــ روى الشيخان وأحمد والنسائى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »

---

(١) الطبعة الاولى لدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م

(٢) الفقرة الثانية ص ٢٢٧ من كتاب شهيد المحراب عمر بن الخطاب من تأليف الشيخ الأديب .

٢ — روى أحمد ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس يقول :

ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، انى أنهاكم عن ذلك .

٣ — وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها ماريـــة فذكرت له مارأته فيها من الصور فقال صلى الله عليه وسلم:«أولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » رواه البخارى ومسلم والنسائى .

ولعل فى كلام العلماء وفى فقه الفقهاء عن الهوى الغلاب وعن التذوق غناء وأى غناء فلن يؤمن أحدكم حتى يكون هواه وفقا لما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم « الحديث » .

ومجلة التوحيد اذ تكتفى بهذا القدر من الأحاديث النبوية الشريفة ليكون الشاهد على هؤلاء الأتباع واحدا منهم ، لتحيل الراغبين فى زيادة الايضاح الى كتب التوحيد التى تصـــدرها الجماعات السلفية فى مختلف أقطار الأرض والتى يؤسفنا أنها تعرضت لحرب من الشيخ الأديب — هدانا الله واياه — حتى كتب التراث لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية وتلميذه الفقيه ابن القيم لم تسلم من حربه . وانا لله وانا اليه راجعون .

حسن محمد الجنيدى

مشاكل الناس

بقلم : عبد الحافظ فرغلي

ظاهـــرة الشكوى من المشاكل تجدها عند كل الناس تقريبا وفى كل المستويات وفى جميع المجالات .

تجد هذه الظاهرة فى البيوت وبين افراد الاسرة الواحدة ، وبين الجار وجاره ، وبين الحاكم والمحكوم ، والعامل وصاحب العمل ، والبائـع والمشترى ، والمدرس وتلميذه ، حتى تجدها بين الامام فى الصلاة وبـين من يأتمون به . ووجود هذه الظاهرة ليست علامة صحة فى كل الاحوال . فان الشكوى من شىء تدل عـلى عدم الرضا به وتدل على السـخط عليه . وكون انسان يعمل عمـلا ويأتى غيره بباعث عدم الرضا بـه فيهدمه . والآخر كذلك . اذا كان الناس شأنهم كذلك فان بناءهـم لايتم أو يحتاج الى زمن طويل وطاقات اكثر حتى يتم . وهذا فيـه مـن الخسارة مالا يخفى . فهل هـذه الظاهرة شىء طبيعى مثل كل الاشياء التى فطر الله الناس عليها ؟ أم أنها آفة طارئة تدخل على الاشياء التى قدر الله صلاحها فتفسدها .

الظاهر ان المشاكل مثل الامراض التى تنشأ من مخالفة سنن الله فى الكون وفى الناس .

ويمكن تقسـيم الناس بالنسـبة للمشاكل التى تنشأ فى حياتهم الى ثلاث طوائف :

الطائفة الاولى : ليس فى حياتها مشاكل ، لانها تتبع هدى الله وتسير على بصيرة فلا تتعقد حياتهـا ولا يتولد من التعقيدات شقاء تشقى به وتشقى غيرها . ومنهج هذه الطائفة قول الله « فاما يأتينكم منى هـدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتـك آياتنـا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » فالآية تشير الى أن من يتبع هدى الله فى الاعتقاد وفى السلوك ولا يعاند سنن الله فى كل الامور من مطعم أو مشرب أو نوم أو يقظة أو زواج أو طلاق أو بيع أو شراء أو حرب أو سـلم الى غير ذلك مما يضطرب فيـه الانسان .. لا يدخل فى حياته شقاء ولا يضل فى مسالك الحياة .

ولنعتبر فى مسألة تحـدث بينـا ونشاهدها . وهى ان مخلوقات الله غير الانسان تتبع هدى الله الكـونى فى طعامها وشرابها ونومها ويقظتها وسائر أحوالها المعيشية فلا يحدث لها شقاء يكون ظـاهره الشكوى ونشأة المشاكل .

فلم نجد جماعة من الطير والوحش بدا منها ما يبدو من الانسان من الخوف على نفاد القوت أو غـلاء

سعره . فاختزنت حاجة غيرها او اخذت فوق حاجتها فنشأ بينهم مثل ما ينشأ بين بنى آدم من المشاكل والمتاعب .

او ان غير بنى آدم من خلق الله الحى اسرف على نفسه واعطاها كل شهوتها فانتهى به هذا الى نشأة الآفات والعلل والأمراض واحتاج الى ازالة هذا الطارىء فزاده رهقا. لانجد هذا الا فى بنى آدم . ولذلك قيل « حمر الوحش لا تحتاج الى بيطار » .

هذه الطائفة ليس فى حياتها مشاكل لانها سارت على هدى الله . ولكن لا يتم هذا الا اذا كان الفرد من هذه الطائفة يعيش مع افراد آخرين يؤمنون بما يؤمن به . وقد تنشأ المشاكل اذا وقع امر بين اثنين احدهما يتبع هدى الله فى كل الاحوال والآخر ليس مثله . كما حدث لبعض الانبياء حيث كان بعض نسائهم على غير ما كانوا عليه .

الطائفة الثانية :

تنشأ لها ومنها مشاكل لكنها تسارع الى علاج هذه المشاكل بالوسائل المشروعة . وتعلم ان الذى حدث لها انما كان لانها خالفت شرع الله وسننه . فمثل هذه على خير والقرآن الكريم يذكر مسلك هذه الطائفة حيث يقول سبحانه « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون »

وهذه الطائفة يغلبها احيانا ضعفها فتقع فى المخالفة ويحصل صراع داخلها بين فعل المنهى عنه وعدم فعله طاعة لله . فاذا وقع الفعل وقع وهم نادمون . وقد لايقع الفعل منهم وتغلبهم تقواهم كما حدث من الرجل الذى ورد ذكره فى الحديث وانه سدت عليه مغارة هو واثنين معه فذكر انه كانت له ابنة عم سلمت نفسها له بعد تمنع منها ورغبة منه . فلما هم بالفاحشة ذكرته بالله وايقظت فى نفسه عوامل الخوف من الله تعالى فامتنع . وهذه الطائفة قد تكون فى المؤمنين اكثر من الاولى وهى الوسطى . ويحصل لها من هذه المجاهدة فضل كبير . منها كما ذكر ابن القيم فى مدارج السالكين ان الناس يتذللون لله بأنواع من الذل منه الذل المشترك بين الناس جميعا وهو ذل الفقر والحاجة ومنه ذل المعصية . فاذا عصى انسان ربه وكان مؤمنا فانه يحصل له ذل وانكسار بين يدى الله يزيد فى منزلته عند الله .

واذا عالجت هذه الطائفة ما يحدث لها من مشاكل بما امر الله فان مشاكلها تقل وتقرب من الخير وتترقى حتى ينتهى شقاؤها وتصير الى ما هو احسن .

الطائفة الثالثة :

طائفة ضلت الطريق المستقيم وهى تحسب انها غير ضالة . فهذه لا تخرج من الظلمات التى احاطت بها . والقرآن الكريم صور هذه الطائفة فى مواضع كثيرة منها « واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون » الآية . ومنها « قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا»

اولئك اذا نشأت بينهم مشكلة خرجوا منها الى مشكلة اشد تعقيدا ومثل ذلك كمثل رجل اصابه هم او حزن فاحب ان يخرج منه فيأتيه الشيطان ويزين له ان يشرب خمرا لينسى همه . فيشربها فينسى همه لكن الى اجل . فاذا افاق وجد انه نشأت له مشاكل وهموم جديدة ولم تنته همومه الاولى. فقد يشتم انسانا وهو سكران او يتصرف تصرفا وهو سكران يزيد فى همه وغمه .

والله سبحانه يذكر فعله معهم فيقول « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا » .

وهذه الطائفة هى اكثر الناس اليوم وعلى كل المستويات . والذى يتولى كبر هذه الطائفة هم السياسيون فى العالم . فهم اذا تناولوا مشكلة ليحلوها زادوها تعقيدا وبعدا عن حلها . وذلك الشىء الاعوج لايمكن ان يعطى شيئا مستقيما . فالمسطرة اذا كانت عوجاء لا تعطى خطا مستقيما . فهم فى انفسهم عوج فيستحيل ان يقوموا غيرهم او يعالجوا المشاكل التى تنشأ منهم وفيهم علاجا ناجعا.

ويتبين من هذا اننا اذا كانت عندنا مشاكل وما اكثرها فلننظر فى من يتصدى لحلها ان كان مستقيما استبشرنا وان كان غير مستقيم توقعنا ان المشكلة ستزيد تعقيدا . والكلام فى هذا يكثر .

وهذه خواطر قد توجه الى الطريقة التى نفهم بها كيف تعالج مشاكلنا فى السياسة والاقتصاد والسلوك وضبط حياتنا .

وفقنا الله الى صلاح امرائنا وائمتنا والله يقول الحق وهو يهدى السبيل،

عبد الحافظ غرغلى

أخطاء علمية مشهورة

بقلم : محمد نجيب المطيعي

بادىء ذى بدء لا أملك إلا أن أجزم أن حياتنا على مستوى العلوم الإسلامية صارت ركاما من الفوضى والسطحية والضحالة · وأصبح السوس ينخر فى عظامها · ويلمس ذلك بعمق من له دراية بعلوم مصطلح الحديث وبمعرفة الرجال والجرح والتعديل ومعرفة درجات الحديث وما يترتب عليها من أحكام ·

أقول ذلك نظرا للكم الهائل من الأقوال التى تنسب الى المعصوم ﷺ والمبثوثة فى معظم ما يكتب أو يقال وهو منها براء · ولو أن هناك شيئا من المنهجية لقضى الأمر ولهان الخطب ! · وهذه نماذج تدلل على صحة ما نقول ولا تعبر عن الكم لأنها قليل من كثير ولأننا نأتى بها على سبيل المثال لا الحصر ·

وأول نموذج نعرض له هو ما كتبه الشيخ الشعراوى فى مجلة المجاهد فى العدد السابع والأربعين « عدد ربيع الأول » حيث قال « مصركنانة الله فى أرضه » ذاكرا أنه حديث تحت مقال بعنوان « عز الإسلام فى عز مصر » ·

والقول السالف على ذيوعه وانتشاره ليس بحديث ثابت عن رسول الله ﷺ · فلقد قال الحافظ السخاوى فى كتابه « المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة » أن هذا الحديث لا أصل له · ووافقه على ذلك كل الحفاظ والمحدثين · وذهب الى ذلك أيضا الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألبانى فى « سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء فى الأمة » قائلا عنه أنه لا أصل له فى المرفوع ولعله من الاسرائيليات ·

ويخطىء الشيخ الشعراوى مرة أخرى حيث ذكر فى كتيب له هدية مع المجلة المذكورة سالفا بعنوان « بشائر النبوة » قول « الخير فى وفى أمتى الى يوم القيامة » وهذا أيضا ليس بحديث ثابت عن المصطفى ﷺ . وهذا بيانه : قال عنه الحافظ السخاوى فى كتابه المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة » لا أصل له ، وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى لا أعرفه ، وقال الحافظ ابن حجر الهيتمى فى « الفتاوى الحديثية » لم يرد بهذا اللفظ ، وقد أورده السيوطى فى الأحاديث الموضوعة فى كتابه « ذيل الأحاديث الموضوعة » ومعنى كل ذلك عدم ثبوت الحديث . وكذلك أورده العلامة الالبانى مع انه لا أصل له فى سلسلته « سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء فى الأمة » . ويغنى عن هذا الحديث ، الحديث الصحيح الذى أخرجه الإمام البخارى بنحوه وغيرهما . « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك » .

وثالث هذه الأغلاط ما أورده الأستاذ عمر التلمسانى فى جريدة الأحرار العدد ٣٦٣ الصادر يوم الأثنين ١٨ من صفر ١٤٠٥هـ - ٣٢ من نوفمبر ١٩٨٤ تحت عنوان « عمر التلمسانى يتذكر » حيث ذكر « من لم تنهه صلاته لم يزدد من الله إلا بعداً » على اعتبار أنه حديث شريف والأمر خلاف ذلك بالمرة كما ذكر المحققون من الحفاظ والمحدثين حيث أجمعوا على أنه حديث باطل وموضوع من ناحية سنده ومتنه وبيانه كالآتى : -

فى سنده ليث بن أبى سليم وهو ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى كتابه « تقريب التهزيب » أثناء الترجمة لليث . وذهب الى نفس الرأى الهيتمى فى كتابه « مجمع الزوائد » وقال الحافظ العراقى فى تخريج الإحياء « اسناده لين » ، وهذا القول من قول ابن مسعود والحسن

البصرى وروى أيضا عن ابن عباس · ولهذا لم يذكره شيخ الإسلام ابن تيمية فى « كتاب الايمان » إلا موقوفا على ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم ، ووافق شيخ الإسلام فى ذلك ابن عروة فى كتابه « الكواكب » ، وقال الحافظ بن كثير : والأصح فى هذا كله من ناحية الموقوفات هى الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والأعمش وغيرهم ·

هذا كله من ناحية السند وقد ثبت أنه ليس بحديث يصح نسبته للرسول ﷺ · وأما من ناحية المتن فلا يصح أيضا لأن ظاهر الحديث يشمل من صلى صلاة بشروطها وأركانها بحيث أن الشرع يحكم عليها بالصحة وإن كان هذا المصلى لا يزال يرتكب بعض المعاصى فكيف بعد ذلك يكون بسبب هذه المعاصى لا يزداد بصلاته إلا بعدا ؟ فهذا مما لا يعقل ولا تشهد له الشريعة ، ولما سئل ﷺ عن رجل يصلى الليل كله فإذا أصبح سرق : فقال ستمنعه صلاته · ولم يقل أنه « لا يزداد بها إلا بعدا » مع أنه لما ينته عن السرقة بعد ·

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فى بعض فتاويه عندما سئل عن هذا الحديث بعد أن حكم عليه بالوضع والبطلان « هذا الحديث ليس بثابت عن النبى ﷺ لأن الصلاة بكل حال لا تزيد صاحبها بعدا بل الذى يصلى خير من الذى لا يصلى وأقرب الى الله منه وإن كان فاسقا » ·

والقول إن ورود هذا الحديث سيبعث اليأس فى نفوس بعض المصلين حيث لا يزالون يرتكبون بعض الذنوب ولا يستطيعون الإقلاع مطلقا · ونحن لا نقصد أبدا التهوين من شأن المعاصى والذنوب ولكن إحقاق الحق هو الذى استدعى ذلك · ومن العلماء المحدثين الذين حكموا بوضع الحديث وبطلانه العلامة الالبانى فى « سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة » ·

ورابع هذا الأغلاط ما أورده الشيخ جاد الحق على جاد الحق فى كتيب « الدروس الحسنية » وهو هدية مجلة الأزهر عدد صفر ١٤٠٥هـ حيث أورد قول « بم تقضى يا معاذ ، قال : أقضى بكتاب الله • قال : فإن لم تجد ، قال أقضى بسنة رسول الله ، قال فإن لم تجد ، قال : اجتهد رأيى ولا آلو • فسر الرسول بذلك » وهذا القول شائع شيوعا منقطع النظير برغم أنه فصل بين الكتاب والسنة حيث لا يصح الفصام بينهما أبدا • وبرغم أن الإمام البخارى قال عنه إنه حديث منكر • وذهب الى ذلك أيضا الشيخ الألبانى ولفيف من علماء الحديث قديما وحديثا •

واقول بعد عرض هذه النماذج والتى لا تمثل إلا القليل ، ليت هؤلاء المشايخ يتحرون الدقة عندما يتحدثون بأحاديث الرسول ﷺ • فإن هناك من يعتقدون أن هؤلاء لا يخطئون وكأن العصمة قد وهبت لهم • وهذا من شأنه احداث الفتن والبلبلة بين المسلمين •

وأهمس أخيرا فى آذان مشايخنا قائلا ليتكم تقرءون متون كتيبات مصطلح الحديث خير لكم من هذه البلايا وماتيك الرزايا • واتقوا الله فى الأحاديث النبوية الشريفة وأهمس فى آذان جموع مسلمى مصر الذين يعتقدون أن هذا أو ذاك معصوم من الخطأ قائلا لهم : الكمال لله وحده والعصمة للمعصوم ﷺ •

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ؟

محمد نجيب لطفى
مدرس لغة عربية وتربية إسلامية

التربية بين الأصالة والتجديد

بقلم محمد صفوت نور الدين

— ١١ —

أثر التربية بالاعتقاد الصحيح:

لقد صاغ الاعتقاد الصحيح حياة المسلمين وسلوكهم حيث سمعوا القرآن يتلى وفيه قصص الأمم السابقة، وأيقنوا أن الله هو الذى سلب النار إحراقها عندما ألقى فيها إبراهيم عليه السلام فكانت عليه بردا وسلاما. وهو الذى سلب الماء البحر إغراقه عندما ضربه موسى عليه السلام بعصاه. وهو الذى طوى الأبعاد لمحمد ﷺ طيا فى إسرائه ومعراجه. وهو الذى جعل العجوز العقيم تلد بعد أن صار بعلها شيخا كبيرا. وهو الذى أرقد أهل الكهف فى نومهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا. وهو الذى رفع المسيح من بين يدى أعدائه وشبه لهم غيره. وهو الذى أرسل الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم على آل فرعون. وهو الذى سلط الريح على ثمود، ونبيا صالحا وقد أرادوا به كيدا. وهو الذى أرسل الطير الأبابيل على أصحاب الفيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول.

ولقد بعث الإيمان بالآخرة فى قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة وحنينا غريبا الى الجنة واستهانة نادرة بالحياة. تمثلوا الآخرة فتجلت لهم الجنة بنعمائها كأنهم يرونها رأى العين فطاروا إليها طيران الحمام الزاجل لا يلوى على شىء. وتجلت لهم النار بأهوالها كأنهم يرونها رأى العين فهربوا منها فرارا الى الله يطلبون النجاة بالمسارعة فى طاعته وامتثال أمره.

أمثلة من حياة الرعيل الأول :

عن أنس رضى الله عنه قال « بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال : عرضت على الجنة والنار فلم أر كاليوم فى الخير والشر . ولو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا . فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه غطوا رءوسهم ولهم حنين(١) » (متفق عليه)

وعنه رضى الله عنه قال « كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء . وكانت مستقبلة المسجد . وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . قال أنس فلما أنزلت هذه الآية : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . وإن أحب أموالى إلى بيرحاء وإنها صدقة لله ، أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله ، قال : فقال رسول الله ﷺ : بخ بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح . وقد سمعت ما قلت وانى أرى أن تجعلها فى الأقربين . فقال أبو طلحه : أفعل يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه » (متفق عليه) .

وعن عطاء بن أبى رباح قال « قال لى ابن عباس ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت بلى .

قال : هذه المرأة السوداء أتت النبى ﷺ فقالت إنى أصرع وإنى أتكشف فادع الله لى .

قال : إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك . فقالت أصبر .

---

(١) الحنين بكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الأنف .

فقالت إنى أتكشف فادع الله لى أن لا أتكشف فدعا لها » (متفق عليه) ٠

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ٠ لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ٠ فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال : اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعنى أصحابه ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعنى المشركين ـ ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر ٠ إنى أجد ريحها من دون أحد ٠ قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم ٠ ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه ٠ قال أنس : كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » (متفق عليه) ٠

وقال ابن الكلبى : كان عمرو بن الجموح آخر الأنصار إسلاما ٠ ولما ندب رسول الله ﷺ الناس الى بدر أراد الخروج معهم فمنعه بنوه بأمر رسول الله ﷺ لشدة عرجه ٠ فلما كان يوم أحد قال لبنيه : منعتمونى الخروج الى بدر فلا تمنعونى الخروج الى أحد ، فقالوا : إن الله قد عذرك ٠ فأتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن بنى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه والخروج معك فيه ٠ والله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة ٠ فقال رسول الله ﷺ أما أنت فقد عذرك الله ولاجهاد عليك ٠ وقال لبنيه : لا عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة ٠ فأخذ سلاحه وولى وقال اللهم ارزقنى الشهادة ولا تردنى الى أهلى خائبا ٠ فلما قتل يوم أحد قال رسول الله ﷺ : والذى نفسى بيده لقد رأيته يطأ فى الجنة بعرجته ٠ (أسد الغابة) ٠

وروى مسلم أن أبا موسى الاشعرى قال وهو بحضرة العدو : قال رسول الله ﷺ : ان أبواب الجنة تحت ظلال

السيوف · فقام رجل رث الهيئة فقال يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا ؟ قال نعم · قال فرجع الى أصحابه فقال : أقرأ عليكم السلام · ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل ·

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر : قوموا الى جنة عرضها السموات والأرض · فقال عمير بن الحمام الأنصار : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : نعم ، قال : بخ بخ · قال ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها · قال : فإنك من أهلها · فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة · فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل ·

وأخرج ابن أبي الدنيا عن هشام بن حسان قال خرجنا حجاجا فنزلنا منزلا في بعض الطريق فقرأ رجل كان معنا هذه الآية (لها سبعة أبواب) فسمعته امرأة فقالت : أعد رحمك الله ، فأعادها : فقالت خلفت في البيت سبعة أعبد[1] أشهدكم أنهم أحرار ، لكل باب واحد منهم ·

وعن أنس رضى الله عنه أن أبا طلحة رضى الله عنه قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية (إنفروا خفافا وثقالا) قال : أرى ربى يستنفرنى شابا وشيخا ، جهزونى !!

فقال له بنوه : قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قبض ومع أبى بكر ومع عمر فنحن نغزو عنك · فقال : جهزونى · فجهزوه فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير (أسد الغابة) ·

وعن حبان بن زيد قال نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان

---

(١) أى سبعة من العبيد الأرقاء ·

واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا هما[1] قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار ، فأقبلت عليه فقلت : يا عم لقد أعذر الله إليك . قال : فرفع حاجبيه فقال : يا ابن أخى استغفرنا الله خفافا وثقالا إنه من يحبه الله يبتليه ثم يعيده فيبقيه ، وإنما يبتلى الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد إلا الله (أخرجه الطبرانى وابن كثير عند تفسير هذه الآية)

وقال الحسن البصرى إن للمؤمنين قوم ذلت والله منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتى حسبهم الجاهل مرضى وهم والله أصحاب القلوب ، الا تراه يقول (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) والله لقد كابدوا فى الدنيا حزنا شديدا وجرى عليهم ما جرى على من كان قبلهم والله ما أحزنهم ما أحزن الناس ولكن أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار (عن كتاب التخويف من النار) .

ونظر عمر بن عبد العزيز الى رجل عنده متغير اللون فقال له : ما الذى أرى بك ، قال أسقام وأمراض يا أمير المؤمنين إن شاء الله . فأعاد عليه عمر ، فأعاد عليه الرجل مثل ذلك ثلاث مرات . فقال : إذا أبيت إلا أن أخبرك فإنى ذقت حلاوة الدنيا فصغر فى عينى زهرتها وملاعبها واستوى عندى حجارتها وذهبها ، ورأيت كأن الناس يساقون الى الجنة وأنا أساق الى النار فأسهرت لذلك ليلى وأظمأت له نهارى وكل ذلك صغير حقير فى جنب عفو الله وثواب الله عز وجل وجنب عقابه (عن كتاب التخويف من النار) .

وقال إبراهيم التيمى : مثلت نفسى فى الجنة آكل من ثمارها وأعانق أبكارها ، ثم مثلت نفسى فى النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسى : أى شىء تريدين ؟ قالت : أريد أن أرد الى الدنيا فأعمل صالحا . قال . فأنت فى الأمنية فاعملى . (عن كتاب التخويف من النار) .

---

(١) طاعنا فى السن .

الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب

علم من أعلام الفكر العربى الاسلامى
والمجدد للعقيدة الاسلامية الصحيحة
وقائد الدعوة الاصلاحية السلفية
ورائد من رواد النهضة الحديثة

بقلم : عبد الله بن سعد الرويشد

الحلقـــة الأولى

إن دراسة مناقب الاعلام تملأ الأجيال المتأخرة روحا تقدميـة ونفسـا طموحة الى العـلا شريطة أن تكون تلك الدراسة موزونة بميزان الكتاب والسنة ، وذلك كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (كنا أذل أمة فأعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله) لذلك يطيب لى أن اقدم هذه السيرة العطرة لنابتة العربيـة ولأجيـالها الصـاعدة خصوصا ولكافة المسـلمين عمـوما لتكون حافزا لهم على التمسـك بدينهم وعقيـدتهم خالصـا من شـوائب الشرك والبدع والخرافات .

نسب الإمام :

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على من سلالة عربية خالصة يمتد نسبها الى تميم الى نـزار بن معـد ابن عدنان ، وهو إمام الدعوة السلفية الحديثة والمجدد للعقيدة الإسلامية السليمة .

مولده ونشـاته :

ولد رحمه الله فى بلدة العيينة بنجد قريبا من الرياض العاصمة السعودية سنة ١١١٥هـ ـ ١٧٠٣م فى بيت توارث

بنوه العلم والتقى كابرا عن كابر ، وقد كان أبوه عبد الوهاب عالم بلدته وقاضيها وكذلك كان جده ـ سليمان من قبله ٠ وقد نشأ الإمام نشأة صالحة ، ثم أخذ يتلقى عن أبيه علوم الدين من تفسير وحديث وفقه وعلوم اللغة من نحو وصرف وغيرهما وأكثر من القراءة والإطلاع على الكتب المتداولة بين الناس فى ذلك العهد ، وكان ذكيا ألمعيا ينفذ بذهنه وعقله الى ما وراء النصوص المدونة ويميز بين الحق منها والبهرج فلم يجد فيما قرأ ما يعادل كتب ابن تيمية وابن القيم ، فأعجب بها ومال إليها ، ورأى كثيرا مما نعاه ابن تيمية على أهل عصره من البدع والضلالات والمروق عن الدين ومظاهر الشرك ماثلا أمام عينيه فى معتقدات قومه وأعمالهم لاسيما العامة منهم فهو إذا من الذين تأثروا بمدرسة ابن تيمية وتخرجوا منها على الرغم من طول العهد بينهما ٠ وإن آراء ابن تيمية وابن القيم كان لها أكبر الأثر فى توجيه ابن عبد الوهاب والتأثير على حياته ٠

رحلاته العلمية :

وتطلع الشيخ الى أفق علمى أرحب فذهب الى مكة المكرمة حاجا لله تعالى ، وملتمسا فيها من العلماء من يشفى غلته ويروى ظمأه ، ويظهر أنه لم يظفر بما كان يؤمله فرحل الى المدينة المنورة ، والتقى هناك بالشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف وهو عالم من أهالى المجمعة بنجد أقام بالمدينة ، فأخذ ابن عبد الوهاب عنه كما أخذ عن عالم مقيم بها هو الشيخ محمد بن حياة السندى ٠

رحلة الإمام خارج الجزيرة :

ولم تكن هذه النفس الطلعة لتقنع بما يحسب الناس أن فيه كفاية وغناء ، بل لابد لها أن تنشد الكمال ، وتسعى إليه ، وتستعذب الصعاب ، وتركب الأهوال ، وتعتصم بالصبر ، وتطلب الحقيقة فى مظانها لعلها تظفر بشىء منها وهكذا كان

شأن الشيخ فلم يجد بدا من الرحلة الى بعض العواصم الإسلامية التى اشتهرت بكثرة العلماء فيها وتوارثت البحث فى مسائل الدين وعقائده ، فرحل الى العراق ، ونزل بلدة الزبير من أعمال البصرة ، وأخذ عن أحد فقهائها الشيخ محمد المجموعى ولكن الإمام لم يقنع بالسماع والحفظ ، بل برح يناقش ويحاول ويمحص ويوازن بين ما يلقى إليه وما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ، فيجد فيما يقوله العلماء ميلا وانحرافا وخروجا عن نصوص الدين وتعاليمه وساءه ما عليه الناس من خرافات وأباطيل فجاهر بآرائه هذه فأنكر ونقد كثيرا من بدع الناس وضلالاتهم وفساد عقائدهم ، فثار به فريق من جهال البصرة وآذوه وخرج منها فى وقت الهجير خائفا يترقب بلا زاد ولا راحلة ، وما كان الله ليترك مجاهدا فى سبيل دينه فقيض له رجلا من أهل الزبير وهى بلدة عراقية أكثر سكانها نجديون فأعانه وحمله على دابته حتى بلغ من هذه البلدة ، وفكر الشيخ بعد ذلك فى مواصلة الرحلة الى بلاد الشام لعله يجد فيها خيرا مما لقى بالعراق ، ولكن الله أراد أن يريحه من سفر قد لا يحصل منه على فائدة تذكر ففقد ما كان معه من مال . وقفل راجعا الى بلاد نجد ، ونزل بالاحساء ، وأقام مدة لدى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعى الاحسائى من رجال الدين والعلم بها ، وكان والد الإمام قد انتقل من العينية الى حريملاء بعد نزاع نشب بينه وبين حاكم قريته محمد بن حمد بن معمر أدى الى عزله عن قضائها فرحل الإمام الى أبيه وأقام معه فى بلدته الجديدة .

تنفيذ الدعوة ومراحلها :

بدأ الشيخ دعوته فى حريملاء ولم تلق نجاحا يذكر ، ولكنه لم ييأس ولم يقنط وظل يدرس ويرشد ويعظ حتى مات والده فى عام ١١٥٣هـ - ١٧٤٠م وهنا أعلن دعوته وجد فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فتبعه بعض أهلها وأيدوه

ولكن كان بحريملاء قبيلة يتبعها جماعة من الجهال يعيثون في الأرض فسادا ويجاهرون بالفسق والمعاصي ، فهتف الشيخ بهم ونادى بوجوب ردعهم وتنفيذ حكم الشرع فيهم ، فاضمروا له البغضاء ، وحاولوا الفتك به ، فحماه الله منهم وردهم على أعقابهم .

ولم يطب للشيخ مقام بحريملاء بعد هذا الحادث فانتقل الى مسقط رأسه بالعينية وتلقاه أميرها عثمان بن حمد بن معمر بالترحيب وعاونه في دعوته وتوثقت بينهما أواصر الثقة والمحبة خصوصا بعد أن أصهر الشيخ الى أسرته ، وقد تبعه كثير من الأهالى ، ثم شرع في تنفيذ مبادئه عمليا فاستأجر أناسا ليقوموا بقطع الأشجار التى يغطيها العامة ، ثم خرج بنفسه الى كبراهن فقطعها ولابد للشيخ أن يمضى في طريقه بلا وجل ولا تردد فاتجه بنفسه الى قبة قبر (زيد بن الخطاب) رضى الله عنه بقرية (الجبيلة) وأعد العدة لهدمها فاستعان بعثمان لحمايته فاستجاب له ، ولكنه أبى أن يتولى الهدم هو أو أحد من رجاله فتقدم الشيخ وهدمها بنفسه حتى أتى عليه ومضى في سياسته العملية « فأقام حد الزنا ونفذ أحكام الشريعة » ومن ثم اشتهر أمره وعظمت هيبته وأقبل كثير من الناس عليه مبايعين معاهدين .

مناواة الدعوة :

وبينما الدعوة تشق طريقها الى القلوب الصلدة فتصدعها والى العقول الضالة فتردعها والى النفوس الظامئة من العلم فتبل صداها وتجلو صدأ الجهالة الذى ران عليها ، نرى سليمان بن محمد بن عريعر الحميدى حاكم الاحساء والقطيف ينذر عثمان بن معمر بالثورة عليه وقطع الخراج عنه ان لم يقتل الشيخ ويقضى على دعوته ، ويتخاذل عثمان ويأمر الشيخ بالخروج من بلدته فسار معه الى الدرعية ورافقه في الطريق « الفريد الظفير وطوالة الحمراني » من

رجال بن معمر بأمر منه وكان الشيخ يسير في الرمضاء والحر يلفحه ومعه مروحة من الخوص وهو يردد قول الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) .

(وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) حتى وصل الى الدرعية . وما قاله بعض المؤرخين من أن ابن معمر قد أمر (الفريد) أن يقتل الشيخ في منتصف الطريق فلا صحة لهذا القول .

آل سعود يحتضنون الشيخ وينصرونه :

وصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية في اليوم الخامس من شهر رجب عام ١١٥٨هـ ونزل في بيت رجل فاضل هو (عبد الله بن عبد الرحمن بن سويلم) الذي أكرم وفادته وكتم أمره خوفا من بطش أمير الدرعية الأمير (محمد بن سعود) ورجاله وأخذ الشيخ يدعو الناس الى دعوته السلفية سرا حتى استطاع أن يقنع الأمير (محمد بن سعود) على تأييده ومؤازرته وأقبل عليه الأمير وبايعه على دين الله ورسوله والجهاد في سبيله وتنفيذ أحكام الشريعة (وقد عاونه على إتمام هذه المبايعة أخوا الأمير محمد بن سعود وهما مشاري وثنيان وكان عبد الله بن سويلم قد حضهما على تأييد الشيخ ومعاهدته من أجل نشر دعوته السلفية الخيرة فبدأ بزوجة الإمام (موضى بنت أبي وطيان) لتكون عونا لهما على زوجها وكانت ذات عقل ودين فألقى الله في قلبها محبة الشيخ ودعوته فقالت لزوجها : ان هذا الرجل أتى اليك وهو غنيمة ساقها الله لك فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته فقبل قولها وألقى الله سبحانه في قلب الأمير محبة الشيخ فأراد أن يرسل إليه فقال أخوا الأمير وزوجته : إننا نرى أن تذهب اليه بنفسك وأن تظهر لأهل الدرعية تكريمه واحترامه والاحتفال به لأن العلم يذهب اليه ولا يذهب

المعلم الى أحد من الناس فسار الأمير اليه وقابله فى بيت ابن سويلم ورحب الأمير بالشيخ وقال له : ابشر ببلاد خير من بلادك وابشر بالعز والمنعة فقال له الشيخ : (وأنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين وهذه كلمة التوحيد (لا اله الا الله) التى دعى إليها الرسل كلهم فمن تمسك بها وعمل بها ونصرها ، ملك بها البلاد والعباد وأنت ترى نجدا كلها وأقطارها قد سارت على الشرك والجهل والفرقة والإختلاف وقتال بعضهم بعض فأرجو أن تكون إماما يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك) وأخذ يشرح له الاسلام وشرائعه وما يحل وما يحرم وما عليه النبى ﷺ من الدعوة الى التوحيد والقيام فى نصره والقتال عليه فلما شرح الله صدر الأمير محمد بن سعود بذلك وتقرر عنده طلب من الشيخ المبايعة على ذلك فبايعه الشيخ على ذلك وقال : (ان الدم بالدم والهدم بالهدم) أى دمى دمك وهدمى هدمك ولكن أريد أن اشترط عليك اثنين (أولهما إننا إذا قمنا بنصرتك والجهاد فى سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلدان أخاف أن ترتحل وتستبدل بنا غيرنا والثانية أن لى على الدرعية قانونا آخذه منهم فى وقت الثمار وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئا فقال الشيخ أن الأولى فلك على عهد الله ورسوله وأما الثانية فلا فإن لك عليهم الزكاة ولعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها .

وبسط الأمير يده فبايعه الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد فى سبيله وإقامته شرائع الاسلام والقرآن والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وبهذا تم لقاء القمة الإسلامى السياسى بين مؤسس الدولة السعودية الأول الإمام محمد ابن سعود ومؤسس الدعوة السلفية الأول فى العصر الحديث الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن هنا دخلت دعوة الشيخ فى مرحلة التنفيذ والجد والعمل وأيد أهل الدرعية

صغيرهم وكبيرهم دعوة الشيخ واتباع تعاليمه السلفية وبهذا اتحد (الدين والسياسة) وسارا فى طريق سليم واحد لهدف اسلامى نبيل واحد ثم بدأ الشيخ يراسل ذوو الرأى فى بلاد نجد من قضاة وعلماء وأعيان فاستجاب له البعض وصد عنه آخرون فسل أعوان الشيخ السيف للجهاد وأعلنوا الحرب فى سبيل الله وقتال المارقين ومات فى هذه المعركة ابنا الأمير محمد بن سعود وهما فيصل وسعود وتوفى الأمير محمد وولى مكانه إمارة الدرعية ابنه عبد العزيز بن محمد بن سعود وقد ولد الإمام محمد بن سعود عام ١١٣٨هـ وتوفى عام ١١٧٩هـ الموافق ١٧٢٥ ـ ١٧٦٥م .
وفى عهده وبعد انتقال الإمام محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية أخذت الدرعية فى الإزدهار تشد لها الرحال وتضرب لها آباط الإبل لمقابلة الشيخ وطلب العلم عليه والتزود بعلومه ومن نبعها الصافى ومعينها النمير وفيها شيد الأمير مسجد الدرعية الكبير وفى عهد ابنه عبد العزيز زاد ازدهار الدرعية وقصدها الناس من كل مكان للقاء الشيخ ومبايعته وقد أعلنت حريملاء الإنضمام الى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومؤازرته والاستجابة لدعوته وقامت فى حريملاء حروب وخصومات بين أنصار الدعوة وأعدائها وكذلك قامت بين حريملاء والدرعية حزوب وخصومات أخرى انتهت بانتصار الدرعية وخضوع حريملاء خضوعا مطلقا .

الخطر الخارجى :

على أن هذه الحروب لم تظل فى دائرتها الداخلية الضيقة فقد هجم العراقيون وأهل الحجاز على بلاد نجد بتحريض من الاتراك العثمانيين وكل يدعى الحفاظ على الدين والغيرة على تعاليمه فتبلبلت أفكار المسلمين فى سائر البلاد وقذفت السياسة فى هذا الصراع بسيل من الدعايات [illegible] ، وخيل للناس أن الشيخ متنبىء جديد يحاول القضاء على الإسلام والتعفية على آثاره ، واستطاعت بذلك أن تؤلب

المسلمين عليه فى كل مكان . وتوفى الشيخ رحمه الله فى ابان هذه المعارك سنة ١٢٠٦هـ - ١٧٩٢م وله من العمر اثنان وتسعون عاما ، ولما يشهد نهاية هذا الكفاح الخالد لكنه رأى مبادئه الاصلاحية ودعوته الاسلامية السلفية تشق طريقها ، وتسود فى جزيرة العرب بفضل الله ثم بفضل تأييد آل سعود الذين أصبحوا خلفاء فى نشر دعوته الى يومنا هذا والذين بنوا ملكهم على أساس هذه الدعوة السلفية العظيمة ، وإذا كانت الحروب قد نالت من النجديين وأثقلت كواهلهم حينا من الدهر ، فانها كانت الصقال الذى شحذ عزائمهم وحرك هممهم وأثار حماستهم للدفاع عن حوزة بلادهم ونصرة مبادئهم وكان لهم الغلب فى آخر المطاف والسر فى نجاح النجديين فى حركتهم هذه يرجع الى قوة الإيمان التى بثها الشيخ فيهم والصمود فى سبيل الدعوة والاستبسال فى الجهاد وتعبئة قوى الشعب وتعليمه فنون الحرب الى جانب تعاليم الشريعة فلقد كان بمنزل الشيخ مدرسة تسمى (وكر التوحيد) تلقن فيها علوم الدين طرفى النهار وفنون الحرب فى أوسطه وكان لذلك أثر عظيم فى تقوية الروح المعنوية عند أنصار الدعوة ورجالها .

عبد الله بن سعد الرويشد
عضو مؤسسة الجزيرة الصحفية بالرياض
وعضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة